

# الخطاب السياسي أو سلطة اللغة



باتريك شارودو  
ترجمة: مصطفى القلعي

مؤمنون بلا حدود  
Mominoun Without Borders  
للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

## الخطاب السياسي أو سلطة اللغة<sup>(1)</sup>

باتريك شارودو<sup>2</sup> Patrick CHARAUDEAU (فرنسا)

ترجمة: مصطفى القلعي (تونس)

---

1- عنوان البحث بالفرنسية (Le discours politique ou le pouvoir du langage)، وتجدر الإشارة إلى هذه المحاضرة تستعير أجزاء من كتاب "الخطاب السياسي، أقتعة السلطة"، المنشور سنة 2005 عند فويبار، باريس. (المؤلف) (وقد أعاد شارودو نشره محيّنًا سنة 2014) (المترجم) وهي موجودة على موقع المكتبة المفتوحة يوسكرايب، على هذا الرابط:

<http://www.youscribe.com/BookReader/Index/304525/?documentId=277199>

2- باتريك شارودو (Patrick Charaudeau): باحث فرنسي شهير في اللسانيات والسميانيات وتحليل الخطاب، ولد سنة 1939، تحصّل سنة 1977 على دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة السوربون موضوعها "الشروط اللسانية لتحليل الخطاب"، وهو أستاذ متميّز في جامعة باريس 13 ورئيس مركز تحليل الخطاب بها وباحث في مخبر الاتصالات السياسية. تقلّد العديد من المسؤوليات العلمية، منها: مكلف بمهمة عن أمريكا اللاتينية مع منظمة الجامعات الناطقة جزئيًا أو كليًا بالفرنسية، أستاذ مؤسس لـ "حلقة تحليل الخطاب" في جامعة ميناس غيرايس بالبرازيل، عضو شرفي في منظمة دراسات تحليل الخطاب الأمريكي اللاتيني، دعي لتدشين أول لقاء للباحثين الأمريكيين اللاتينيين في تحليل الخطاب في سانتياغو في الشيلي، مسؤول عن برامج تعاون دولية مختلفة، عضو لجان تحرير عديدة وهيئات تحرير مجلات كثيرة. له عشرات الكتب في اللسانيات والنحو وتحليل الخطاب السياسي والإعلامي، من بينها الكتاب الذي أخذت منه هذه المحاضرة، "الخطاب السياسي، أقتعة السلطة". وشارودو رغم أهمية منجزه العلمي لم يترجم منه إلا النزر القليل جدًا على غرار معجم تحليل الخطاب الذي ترجمه المرحوم عبد القادر المهيري والأستاذ حمادي صمود، ضمن أعمال مخبر تحليل الخطاب بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمثوبة (تونس) الذي كان يشرف عليه الأستاذ صمود. وشارودو موقع واب خاص به: <http://www.patrick-charaudeau.com>

## مقدمة:

إنّ الظاهرة السياسيّة ظاهرة مركّبة تنتج عن جملة من الأعمال التي تعود إلى أنظمة مختلفة، ولكنّها في الوقت نفسه تتشابه بشكل دائم، كما يقول كلود لو فور (Claude Le Fort)<sup>1</sup>؛ من أعمالٍ سياسيّة كالمنجزات والقرارات، وهو ما يطرح سؤال سلطة هؤلاء الفاعلين وشرعيّتهم، ومن أعمالٍ اجتماعيّة كتتنظيم العلاقات الاجتماعيّة، وهو ما يطرح سؤال الموقع والعلاقة التي تتأسّس بين النخب والجماهير، ومن أعمالٍ قانونيّة مثل إطار يتحكّم في القيادات الأمر الذي يثير مسألة الإجراءات التشريعيّة، وأخيرا من أعمالٍ أخلاقيّة مثل فضاء للتفكير في أنظمة القيم بما يطرح سؤال مثاليّة نظم الحكم من أجل مصلحة الشعوب.

هذا يفسّر أنّ الظاهرة السياسيّة، وبقصد تحليلها، تكون موضوع دراسة لاختصاصات مختلفة؛ منها العلوم السياسيّة (التي توجّهت نحو الأعمال السياسيّة)، ومنها السوسيولوجيا السياسيّة (التي توجّهت نحو الأعمال الاجتماعيّة)، ومنها الحقوق (المتّجهة في الأصل إلى الأعمال القانونيّة)، ومنها الفلسفة السياسيّة (المهتمة بالأعمال الأخلاقيّة). هذا يكشف بوضوح في الوقت نفسه أنّه لا يوجد مجال مخصّص لدراسة السياسة، كما يوهّم البعض بذلك. فعلى النقيض من ذلك، بفعل التداخل بين هذه الأبعاد يُفرض تعدّد الاختصاصات في هذا المجال.

تسألونني: ما محلّ الخطاب من ذلك كلّ؟ إنّّه يخرق كلّ هذه الأبعاد للظاهرة السياسيّة. هذا يبدو واضحا بالنسبة إلى البعدين الأخلاقي والقانوني (تعريف القيم والقوانين يكون بمساعدة اللغة وبها وعبرها)، ولكن أيضا بالنسبة إلى البعدين الاجتماعي والعملي. وهذا ما أريد توضيحه الآن. ومن الجليّ أنّي لن أتمكّن من التعامل مع جميع المسائل المتعلّقة بالعلاقة بين اللغة والعمل في الميدان السياسي وسأكتفي بتوضيح كيفيّة ارتباط اللغة بالعمل في الخطاب السياسي وكيف نجد هذا الارتباط في استراتيجيّات الكلام المختلفة التي تتكشف في هذا الحقل.

## لغة، عمل، سلطة:

خلافا للفكرة الدائرة في المخيال الاجتماعي، والتي تجعل الكلام ضدّ العمل (سواء في الإخفاء أو في النجاعة)، سأنتقل من الافتراض بأنّ الخطاب السياسي (ولكن أيضا كلّ أنماط الخطاب) لا معنى له خارج

1- كلود لو فور (Claude Le Fort): (1924-2010): فيلسوف فرنسي اشتهر بالتفكير في مفاهيم الشموليّة والديمقراطيّة. وهو معروف أيضا بكونه أحد مؤسسي المنظمة الثوريّة "اشتراكيّة أو بربريّة"، مدير دراسات سابق في معهد الدراسات العليا للعلوم الاجتماعيّة، وكان عضوا في مركز رايمون آرون للأبحاث السياسيّة. ترك مؤلفات عديدة، منها: عناصر نقد البيروقراطيّة (1971)، أشكال التاريخ (1978)، ابتكار الديمقراطيّة (1981)، الزمن الحاضر (2007) وغيرها.

العمل، وأنه في العمل تتم ممارسة سلطة ما بالنسبة إلى الذات السياسية (ولكن أيضا بالنسبة إلى كل الذوات). تقول الفيلسوفة حنا أرندت في كتابها «شرط الإنسان الحديث»: «لن يكون العمل الصامت أبدا عملا لأنه خال من الفاعلين. والفاعل أو منتج العمل لا يكون كذلك إلا عندما يكون قائلا الكلام في الوقت نفسه».<sup>2</sup>

الخطاب والعمل هما مكونا التبادل الاجتماعي ولكل منهما استقلال ذاتي عن الآخر ولكنهما يتواجدان أيضا في علاقة ترابط متبادل دون تماهي أحدهما مع الآخر. كل عمل لغوي ينبع من ذات لا يمكن تعريفها إلا في علاقتها بالآخر حسب مبدأ الغيرية (دون وجود الآخر لا يوجد وعي بالذات). وضمن هذه العلاقة بالآخر، لا تكف الذات عن سحب هذا الآخر إليها حسب مبدأ التأثير حتى يفكر أو يقول أو يفعل حسب إرادتها. ولكن الآخر أيضا له نيته في التأثير، وهو ما يشكل خطر حدوث مواجهة بين الاثنين، وهو ما يقودهما إلى التحكم في العلاقة بينهما حسب مبدأ التعديل. من ثمة، يمكن القول إن كل عمل لغوي هو فعل في الآخر.<sup>3</sup> مبادئ الغيرية والتأثير والتعديل هي مبادئ مؤسسة للعمل اللغوي، وهي تدرجه ضمن إطار عملي أو ضمن نظرية للعمل.<sup>4</sup>

ولكن الفعل في الآخر لا يمكن أن يظل مجرد هدف لفعل العمل أو لفعل القول أو لفعل التفكير. فالهدف يترافق مع ضرورة هي أن يرى النية يتلوها التأثير. هذه الضرورة تكمل الهدف التواصل بقصد عملي يقوم على وضع الآخر في وضعية التزام بالتنفيذ أي في علاقة خضوع لوضعية الذات المتكلمة. يمكن، إذن أن نسأل أنفسنا عمّن يمكنه إجبار الذات الهدف على التنفيذ. سوف نفترض أنه إما وجود تهديد يحوم حولها ويشكل خطرا عليها إذا رفضت الطاعة وإما وجود مكافأة محتملة يمكن أن تحصل عليها إذا أذعنت. التهديد والمكافأة يشكلان عقابا/ جزاء<sup>5</sup>. إن إمكانية العقاب/ الجزاء هذه هي التي تمنح الذات المتكلمة سلطة. وبمجرد أن يقرّ الشريك بهذه السلطة، يكتسب مشروع الهيمنة قوة عمل معينة (القوة التأثيرية<sup>6</sup> عند التداوليين). في الآن نفسه توضع الذات الهدف في وضعية مهيمّن عليها، والذات المتنفّذة في وضعية مهيمّن، وكلاهما في علاقة سلطة.

2- حنا أرندت، شرط الإنسان الحديث، كالمن ليفي، باريس، 1961 و 1983، مجموعة أقورا، ص 235. (المؤلف)

3- un agir sur l'autre

4- une praxéologie

5- sanction تحتمل هنا معاني الجزاء والعقاب. ولم نجد في العربية لفظا دقيقا يقابلها.

6- la force perlocutoire

في الأخير، يمكن أن نتساءل «باسم ماذا» تملك الذات المتكلمة الحق في الفرض، باسم ماذا يمكنها أن تمارس جزاء وباسم ماذا على الآخر أن يطيع. هذا يعود في نهاية الأمر إلى التساؤل عما يؤسس السلطة<sup>7</sup>. ف «باسم ماذا» هذه تعيدنا إلى سؤال قوة الحقيقة التي يشهد عليها العمل القولي، والتي بإمكانها أن تبرّر ما يجب القيام به. وهنا نجد الكثير من الحالات، ولكننا سنعيد جميعها إلى اثنتين أساسيتين منها هي أن قوة الحقيقة ذات منحى متعال<sup>8</sup> أو شخصي.

ومعنى كون قوة الحقيقة ذات منحى متعال هو أنها تتبع من [مصدر] خارج عن الذات متجاوز لها، هو نوع من ثالث أسطوري<sup>9</sup> أو آخر [يتسم] بالعظمة يمثل القانون المطلق ويمليه. وهذا يمكن أن يتخذ صوراً متعدّدة؛ قوة قادمة من عالم الغيب (الحق الإلهي، حق الملوك، حق رؤساء الكنيسة، حق الأنبياء وحق المعلمين الروحيين<sup>10</sup>)، وقوة ناتجة عن إرادة البشر عبارة عن كيان مجرد وضعوه بأنفسهم في الآخر وحدّوه بشكل فوق (الشعب، الدولة، الجمهورية، القومية، التقدم، العلم... إلخ)، وهو ما يدعوه دوركهايم «الإله الاجتماعي»<sup>11</sup>. والذات هنا لا تكون إلا مندوبة الإرادة العامة.

أما كون قوة الحقيقة ذات منحى ذاتي، فمعناه أنها مقيدة أكثر من حيث إنها ممتزجة بالذات مثل شعار تمتلكه بشكل صريح ويمنحها ما نسميه «سلطة شخصية» وكاريزما تتأتى له من النسب (الميراث) أو من التجربة (حسن التصرف) أو من سمات شخصيته (العلامات المميزة أو البطولة). ومن منطلق هذه الوضعية للشركاء في العمل القولي، حيث يدرجهم الترابط المتبادل بينهم في علاقات قوة غير متماثلة، يمكن أن نقول إنّ كلّ عمل قولي معقود بالفعل وإنّ الرابطة الاجتماعية تنبني بهذه الطريقة.

### العلاقة بين اللغة والعمل في الخطاب السياسي:

كيف لهما أن يجتمعا في الخطاب السياسي؟ من بين التحليلات المهمة بالحقل السياسي توجد ثلاث وجهات نظر تهيمن على تعريف السلطة لكل من ماكس فيبر وحنّا أرندت ويورغان هابرماس سنلخص ثلاثتها بإيجاز.

7- هناك ليس في العربية وحتى في الفرنسية بين لفظي: pouvoir وautorité. ف pouvoir تعني السلطة بمعنى النفوذ كقولنا "مارس سلطاته" أو "السلطة في تونس" وautorité تعني السلطة أيضاً ولكن بمعنى مالكا وممارسها كقولنا "السلطات التونسية". وأحيانا كثيرة تستعمل إحداهما في مكان الأخرى.

8- Transcendental

9- ثالث أسطوري: Tiers mythique

10- Les gourous

11- إميل دوركهايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، باريس، 1968. (المؤلف)

بالنسبة إلى ماكس فيبر، ترتبط السلطة السياسيّة ارتباطاً مباشراً بالسيطرة والعنف، وهو يتبع في ذلك فرضيّة عامّة تقول إنّ الروابط الإنسانيّة تقوم على العلاقات بين الغالب والمغلوب. وبالتالي، فإنّ السلطة هي سلطة هيمنة مرفوقة بدرجة من العنف. وفي السياسي<sup>12</sup>، تفرض الدولة، وهي التي تتمتع بقوة الهيمنة، سلطتها من خلال عنف له كلّ مظاهر الشرعيّة ويجبر الآخر على تعلّم أن يكون مهيمناً عليه ومن ثمة على الخضوع. يقول فيبر: «الدولة لا يمكن أن توجد إلاّ إذا خضع الناس المهيمّن عليهم للسلطة التي لا يتوقّف المهيمنون فيها عن ادّعاء أحقيّتهم بها»<sup>13</sup>.

أمّا عند حنا أرندت، وخلافاً لفيبر، فإنّ السلطة السياسيّة تتأتّى من الرضى ومن إرادة الناس الحياة والعيش معاً. ففي كلّ جماعة بشريّة تكون بين الناس علاقات إذ يعتمد بعضهم على بعض ويجب أن يفكروا معاً لتنظيم سلوكهم وبناء إمكانيّة للعيش معاً. إنّ هذا «العيش معاً» يؤسّس الفعل السياسي الذي فيه يتمّ تحديد السلطة والعمل بشكل مشترك إذ إنّ كلّ سلطة هي سلطة للعمل المشترك. وفي هذا المنظور، لا يمكن تبرير السلطة السياسيّة بالقلق من سيطرة الآخر، ولا يمكن ممارسة هذه السلطة بالعنف إذ أنّها ليست إلاّ سلطة ناتجة عن إرادة جماعيّة، سلطة صادرة عن الشعب أو المواطنين ومعتترف بها من قبلهم. تقول حنا أرندت: «عندما نعلن أحداً في السلطة، فإنّنا نعني بذلك أنّه تلقّى من عدد من الناس سلطة العمل باسمهم»<sup>14</sup>. فالسلطة السياسيّة لا ترتبط، إذن، بالقمع بل بالرأي الحرّ.

ويبدو أنّ وجهة نظر يورغان هابرماس توفّق بين وجهتي النظر السابقتين لكلّ من فيبر وأرندت، إذ إنّّه يقترح التمييز بين «سلطة تواصليّة» و«سلطة إداريّة». السلطة التواصليّة موجودة خارج كلّ سيطرة لكون منشئها هو في الوقت نفسه المؤتمن عليها ألا وهو الشعب الذي يخلقها ويعمّمها في الفضاء العام. ويتأسّس، تبعاً لذلك، فضاء للنقاش أين يتولّى المواطنون تبادل وجهات النظر بطريقة حاجيّة مشكّلين، بالتالي، «الرأي العام» خارج كلّ وصاية للدولة و«خارج كلّ سلطة بهذا المعنى غير المنظّم وفي فضاء عام غير مبرمج من جهة اتخاذ القرار»<sup>15</sup>.

أمّا السلطة الإداريّة، فهي تنطوي دائماً على علاقات الهيمنة. والأمر يتعلّق هنا بتنظيم العمل الاجتماعي وبوضع القوانين لضبط كلّ ما يمكن أن يتعارض مع هذه الرغبة في الفعل وتجنّبه أو بدفعه عبر العقوبات.

12- السياسي: Le politique

13- ماكس فيبر، الاقتصاد والمجتمع، بلون، باريس، 1971. (المؤلف)

14- حنا أرندت، من الكذب إلى العنف، الترجمة الفرنسيّة، جاليمار، باريس، 1972. (المؤلف)

15- يورغان هابرماس، نظريّة الفعل الاتصالي، الترجمة الفرنسيّة، فايارد، باريس، 1987. (المؤلف)

وهكذا ينشأ نظام سياسي يميل إلى الدفاع عن نفسه ضد أية محاولة لزعزعة استقراره أو لإقصائه، ويختار، بل يسعى إلى أن يكون فعالاً وبالتالي لا غنى عنه.

وباختصار، فإنّ السلطة التواصليّة هي التي تجعل من الممكن بناء فضاء سياسي من خلال طرح مسألة الشرعية، بينما السلطة الإداريّة القائمة على هذه الشرعيّة والمستفيدة من إرادة شعبيّة هي من يضع على الأرض جهازاً لتجسيد السلطة عملياً بفرضها على الناس الذين أنشأوها.

ليس من المطروح [هنا] مناقشة وجهات النظر الثلاث، وهو ما كان قد أنجزه عدد من الفلاسفة، ولكن، ومن خلال الانخراط في تسلسل أفكار هابرماس، أريد أن أضيف له شيئاً دفاعاً عن مفهوم للسلطة السياسيّة المتأثّية جدلياً من غايتين تحدّدان نوعين من النشاط الاجتماعي هما نشاط القول السياسي الذي غايته نقاش الأفكار في المجال الأوسع من الفضاء العام، حيث يتمّ تبادل الآراء، ونشاط الفعل السياسي الذي غايته صنع القرار واتخاذ إجراءات في المجال الأضيق من الفضاء العام.

هذان النشاطان/ المجالان يضيفي أحدهما الشرعيّة على الآخر. وعلى خلاف هابرماس وأرندت وخاصة فيبير الذي لا يرى إلّا مجالا واحداً حيث يُمارس «العنف الشرعي» الذي فيه تتأسّس الشرعيّة والسلطة، نضيف أنّ كلّاً من المجالين يتحدّد من خلال علاقات القوّة ومن خلال لعبة السيطرة الخاصّة به، والتي يلعبها كلّ منهما عبر مزج اللغة بالعمل وإن كان ذلك باختلافات بين كليهما.

أمّا في النشاط الأوّل (نشاط القول) فاللغة هي التي تهيم من خلال النضال الخطابي حيث تكون جملة من الأشياء مباحة (التلاعب، التبشير، التهديدات، الوعود وما إلى ذلك). والغاية، [هنا]، هي فرض رأي. وأمّا في النشاط الثاني (نشاط الفعل)، فالذي يهيمن هو العمل باعتباره إطاراً تُمارس فيه سلطة التصرف بين هيئة سياسيّة تعلن نفسها ذات سيادة وبين هيئة مواطنيّة بإمكانها أن تطالب بالمساءلة في أيّ وقت. والغاية، [هنا]، هي سيطرة قائمة على القانون والعقوبات والمطالب.

وإذا كان كلّ إنتاج خطابي يعتمد، ليكون دالاً، على الغايات التي تحدّد أهداف الاجتماعيّة، فنقول إنّنا نتعامل مع نوعين من النشاط الخطابي؛ الأوّل متّجه نحو الأفكار وقوّة حقيقتها (مجال صنع الإيديولوجيات)، وهذا هو السياسي، والثاني متّجه نحو الفاعلين وقوّة فعلهم (مجال صنع علاقات القوّة)، وهذه هي السياسة. نرى، إذن، كيف ترتبط اللغة بالعمل في الحقل السياسي.

## كلام رجل السياسية والاستراتيجيات الخطابية:

أودّ الآن بيان آثار افتراض كهذا على تحليل الخطاب السياسي بالرجوع إلى بعض وجوهه كأن تتواجد الذات السياسيّة في وضعيّة تكلم من «خارج الحكم» (عندما يتعلّق الأمر، مثلاً، ببلوغ السلطة عن طريق الترشّح للانتخابات) أو من «الحكم»<sup>16</sup> (عندما تكون في مجال الأعمال)، لا بدّ لهذه الذات من العمل والتواصل من التواصل والعمل ولكن مع استراتيجيات مختلفة قليلاً بسبب كونها تجد نفسها في مواقع مختلفة بالنظر إلى الشرعيّة. ولكن في الحالة الأولى كما في الأخرى، هناك أنواع مختلفة من الكلام (أو من الاستراتيجيات الخطابية) تحت تصرّفه مثل كلام الوعد والكلام القراري وكلام التبرير وكلام الإخفاء.

كلام الوعد (وصنوه التحذير) يعبر عن مثاليّة اجتماعيّة أو عن حاملّة لنظام معيّن من القيم ومن الوسائل الكفيلة بتحقيقه. هذا الخطاب يراود له أن يكون مثاليّاً وواقعياً في آن (اقتران الأضداد). ولكن في نفس الوقت على هذا الكلام أن يكون ذا مصداقيّة في نظر الهيئة المواطنيّة. وبالتالي، فإنّ الذات التي تقدّم وعداً يجب أن تكون هي نفسها ذات مصداقيّة، وهو ما يقودها إلى صنع صورة ذاتيّة مقنّعة «إيطوس»<sup>17</sup>. وأخيراً، وأمام الحرص على ضمّ أكبر عدد من الناس إلى مشروعها، تسعى الذات السياسيّة إلى الوصول إلى جمهورها مستعينة بالعقل، حيناً، وبالعاطفة، أحياناً، في عمليّات إخراج<sup>18</sup> مختلفة (تصريحات إعلاميّة، اجتماعات، اعترافات إيمانيّة كتابيّة<sup>19</sup>، مناشير، ملصقات وما إلى ذلك). وجب على كلام الوعد/ التحذير، إذن، ألاّ يكتسب قوّة حقيقة بقدر ما يكتسب قوّة تماهٍ مع فكرة ومع رجل أو امرأة.

أمّا الكلام القراري<sup>20</sup> فهو أساساً كلامٌ فعلٍ متأسّس على الشرعيّة. وهو يعني، في الحقل السياسي، ثلاثة أشياء:

- الأوّل: توجد فوضى اجتماعيّة (حالة، فعل، حدث). وهي غير مقبولة (لا تلتزم بقاعدة اجتماعيّة قائمة أو بإطار قانوني قائم، لم يبق معها إلّا تطبيق القانون)، وهي تنصّ على تأكيد مثل: «هذا ليس مقبولا».

16- لبيان الفرق بين "في الحكم" و"خارج الحكم"، انظر كتابنا "الخطاب السياسي، أفنعة السلطة". (المؤلف)

17- "Ethos" إيطوس: مصطلح مأخوذ من الخطابة القديمة، ويشير الإيظوس إلى صورة الذات التي يبنّيها المتكلم في خطابه ليمارس تأثيراً في المخاطب. وقد استعملت علوم اللغة وتحليل الخطاب أساساً هذا المفهوم لتحليل على الجهات اللغويّة في تقديم الذات في التفاعل اللغوي. والإيظوس مع اللوغوس والباطوس ينتمي إلى ثلاثيّة أرسطو في وسائل الحجة (الخطابة: I: 1356 أ) وله عند أرسطو معنيان: فهو يشير، من جهة، إلى الفضائل الأخلاقيّة التي تعطي الخطيب مصداقيّة أي الحذر والفضيلة وحسن الاستعداد (الخطابة: II: 1378 أ)، ويشتمل، من جهة أخرى، على بعد اجتماعي من جهة أنّ الخطيب يفتن إذا تكلم بطريقة ملائمة لطبعه وصفه الاجتماعي (أفس: 1999: 32). ويتعلّق الأمر في الحالتين بصورة الذات التي ينتجها الخطيب في خطابه، لا بالشخص العيني. معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو - دومينيك منغينو، ترجمة: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 230.

18- des mises en scène

19- La parole de decision

20- une affirmation d'ordre déontique

- الثاني: أنّ الكلام القراري يعني ضرورة اتخاذ إجراء لمعالجة هذا الشذوذ وإعادة دمجها في نظام جديد أو في إطار قانوني جديد. إنه ينصّ على بيان أدبيّات يعني شيئاً من قبيل: "يجب علينا إصلاح".

- الثالثة: أنّ هذا الكلام يكشف، في الوقت نفسه، عن الإجراء المطبق في اللحظة نفسها التي يتمّ فيها الإعلان عنه. وهذا هو، هنا، طابعه الأدائي<sup>21</sup>.

هناك جملة من الأعمال التي يطرحها الكلام القراري الذي يعني، في الوقت نفسه، الخارقة<sup>22</sup> والضرورة والأدائية<sup>23</sup> كقرار التدخّل في نزاع أو عدم التدخّل فيه أو قرار توجيه السياسة الاقتصادية في هذا الاتجاه أو ذاك أو قرار سنّ القوانين. لنتذكّر البيان الإذاعي للجنرال دو غول (Le Général De Gaulle)<sup>24</sup> عند عودته من بادن بادن (Baden Baden)<sup>25</sup> في مايو 1968، قال: «في هذه الظروف الرّاهنة، لن أستقيل ولن أغيّر رئيس وزرائي (...) في هذا اليوم نفسه، أُحلّ الجمعية الوطنية». وإذا أخذنا في الاعتبار الاضطراب الاجتماعي، فإنّ كلّ شيء موجود في هذا الخطاب من ضرورة تأسيس نظام جديد وإتمام سلسلة من الأعمال من خلال الإعلان نفسه.

بينما يظهر كلام التبرير عند كلّ اتخاذ قرار وعند كلّ إعلان عن عمل، حتّى وإن كان من عند سلطة في حاجة إلى إعادة الاعتراف بها متى جرت مساءلتها أو التشكيك فيها من قبل خصومها السياسيين أو تحركات المواطنين. من هنا يتأتّى سلوك خطابي يتمثّل في العودة إلى العمل [المنجز/ المعلن عنه] لإعطائه علّة وجوده (أو التذكير بها). فعدد من تصريحات رؤساء الدول أو رؤساء الحكومات أو الوزراء المكلفين بمفّات بعينها موجّهة نحو التصديّ للانتقادات أو الحركات الاحتجاجية ونحو تبرير الأعمال التي أنجزوها (الخطاب المهيمن للتقارير التي ينجزها المتحدث باسم الحكومة بعد انعقاد كلّ مجلس وزراء، على سبيل المثال). الخطاب التبريري يؤكّد مشروعيّة العمل ويتيح الإمكانية لأعمال أخرى تكون

21- طابعه الأدائي/ الإنجازي: son caractère performatif

22- Anormalité

23- Performativité

24- الجنرال دو غول (Le Général Charles De Gaulle) (1890-1970): عسكري ومقاوم ورجل دولة وكاتب فرنسي: قائد تنظيم "فرنسا الحرة"، وهو تنظيم المقاومة في الخارج الذي أسسه بنفسه في لندن إثر ندائه الشهير في 17 جوان 1940، وزعيم اللجنة الفرنسية لتحرير الوطني خلال الحرب العالمية الثانية، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية لسنّتي 1944 و1946، رئيس مجلس الوزراء الفرنسي من 1958 إلى 1959، مؤسس الجمهورية الخامسة سنة 1958، رئيس منتخب للجمهورية الفرنسية مرّتين، دامت رئاسته من 8 يناير 1958 إلى 28 أبريل 1969. كتب قصّته الأولى في سنّ الخامسة عشرة بعنوان "لقاء سيّئ" ترك خطابات ورسائل عديدة منشورة ومؤلفات وأبحاث كثيرة أدبية وإدارية وعسكرية. ومن أشهر مؤلفاته مذكراته التي نشرت في ثلاثة أجزاء تحت عنوان "مذكرات الحرب".

25- بادن بادن (Baden Baden): مدينة ألمانية تقع في مقاطعة بادوارتمبارغ التي عاصمتها شتوتغارت، وهي من أشهر المنتجعات الصحية في العالم. يوم الأربعاء 29 مايو 1968 على الساعة الحادية عشرة والربع صباحاً، يلقي الجنرال دو غول فجأة مجلساً وزارياً ويغادر قصر الإليزيه دون أن يعرف حتّى أقرب مستشاريه وجهته. ويتحوّل إلى مدينة بادن بادن الألمانية لمقابلة الجنرال ماسو قائد القوّات الفرنسية في ألمانيا ليتناول معه في الشأن الفرنسي إبان أحداث ماي 1968، والتحدّث حول هامش المناورة عند الجنرال دو غول ليبقى في السلطة وعن مدى وفاء الجيش للدولة وإمكانية تدخّل عسكري على الأرض في فرنسا... إلخ

امتدادا له أو نتيجة. إنه «إيضاح ودفاع» فقط للاستمرار في العمل. وذلك لا يعني إقرارا ولا اعترافا<sup>26</sup> بل يعني المرور من وضعيّة مذنب محتملة إلى وضعيّة رجل صالح<sup>27</sup> مسؤول عن أعماله ممّا يبرّر في الوقت نفسه متابعة العمل.

خطاب المخادعة هو جانب جوهري آخر من الخطاب السياسي. فهو يعني، خلافا لما يزداد رواجه، أنّ الفاعل السياسي لا يجب أن يقول أبدا أيّ كلام. ويعني أنّ هذا الفاعل السياسي لابدّ أن يتوقّع ثلاثة أشياء: انتقادات خصومه والآثار الضارّة للخبر الإعلامي والحركات الاجتماعية التي كان عليه أن يحاول تحييدها مسبقا. وهكذا تتأسّس لعبة أقنعة في ثنانيا الكلام والفكر والعمل تؤدّي إلى دراسة مسألة الكذب في السياسة.

نحن نعرف أنّ هناك كذبا وكذبا. والتفكير الفلسفي قال ذلك منذ وقت طويل. وسيكون من السذاجة بمكان أن نوجّه تفكيرنا نحو ما إذا كان الكذب موجودا أو غير موجود، وأنّه يتعارض مع حقيقة فريدة. الكذب هو جزء من العلاقة بين الذات المتكلّمة وبين محاورها. فخطاب الكذب لا وجود له في ذاته، بل لا كذب إلا في علاقة بعينها بالنظر إلى الرهان الذي تغطّيه هذه العلاقة. إنّ فعل إرادي<sup>28</sup>. علاوة على ذلك، لابدّ من أن نضع في الاعتبار أنّ الكذب ليس له المعنى نفسه ولا المحمول نفسه. إنّ الأمر رهن بما إذا كان المحاور مفردا أو جمعا أو بما إذا كان المتكلّم يتحدّث في إطار خاص أو في إطار عمومي. فالساحة العموميّة تعطي طبيعة خاصّة للكذب. كلّ سياسي يعرف أنّه يستحيل عليه أن يقول كلّ شيء في كلّ وقت وأن يقول الأشياء تماما كما يفكر فيها أو كما يدركها إذ لا يجب على كلماته أن تعيق عمله.

وفي محاولة لحلّ هذه المشكلة التي تبدو مستعصية، تعرض جملة من الاستراتيجيّات:

- استراتيجية الضبابيّة: في الوقت الذي يعلن فيه رجل السياسة عن الوعود والالتزامات، لا يكون على دراية بما يحتكم عليه من وسائل ولا بالعراقيل التي ستعترض عمله. وبإمكانه، إذن، تقديم وعوده وإعلان التزاماته ولكن بطريقة ضبابيّة وأحيانا معقّدة على أمل كسب الوقت أو التعويل على تناسي الوعد. فالمرشّح لرئاسة الجمهوريّة، على سبيل المثال، يمكنه الإعلان عن إعطائه الأولويّة للبحث دائما دون التمسك بهذا الالتزام إذا ما تمّ انتخابه. فالعمل تمّ الإعلان عنه ولكن لن يتمّ الالتزام به مطلقا. وهذا، إذن، معنى البقاء في الضبابيّة، ولكن في ضبابيّة لا تفقد المصداقيّة. والسياسي لا يمكن أن يُعدّ مُخلّفا بسبب هذه النقطة.

ni aveu ni confession -26

bienfaiteur -27

un acte volontaire -28

- استراتيجية الصمت: يعني ذلك غياب التصريحات كأن نسلّم أسلحة إلى بلد أجنبي أو أن نضع وزارة تحت التنصّت أو أن نغرق مركبا لجمعية بيئية دون أن يقال شيء ولا أن يعلن عن شيء، وإنما يتمّ التمسك بسريّة العمل. إننا نتعامل هنا مع استراتيجية تقدر أنّ الإعلان عمّا سيتحقّق فعلا على مدى سيثير ردود أفعال عنيفة من شأنها أن تمنع تنفيذ ما اعتُبر لمصلحة المجموعة. هذا النوع من الاستراتيجية هو المستخدم من قبل الدوائر المناضلة كلّما كانت المسألة من جنس "لا لتيئيس بيانكورت"<sup>29</sup>، كما كان جان بول سارتر قد قال في 68.

- النوع الأوضح من الاستراتيجيات [في هذا السياق] هو استراتيجية الإنكار إذ إنّ رجل السياسة الذي يكون محلّ شبهة في قضايا تكون موضوع دعاوى قضائية ينكر تورّطه أو تورّط أحد مساعديه فيها. وفي صورة ما إذا كانت لديه أيّة مسؤولية في هذه القضايا، فإنّ الإنكار يتحوّل إلى كذب سواء عبر إنكار الأفعال (قضية ألماس بوكاسا)<sup>30</sup> أو عن طريق تقديم شهادة زور (قضية أولمبيك مرسيليا/ فالنسيان)<sup>31</sup>. تبعا لذلك، فإنّ هذا كلّه يمنع من إثبات تورّط الأشخاص في هذه القضايا. ومع ذلك، توجد رواية أكثر عراقية لاستراتيجية الإنكار هذه ألا وهي استراتيجية «الضربة المخادعة»<sup>32</sup> التي تتمثل في الحمل على الاعتقاد بأننا نعرف القضية والمخاطرة بالبرهنة عليها، في حين أننا لا نعرفها. نتذكّر، هنا، المناظرة بين جيسكار وميتران<sup>34</sup> سنة 1974 التي قام خلالها جيسكار بتهديد ميتران بأنّه سيخرج له من المظروف الذي أمامه الحجة على ادّعاءاته (بينما لم يكن الظرف يحتوي غير صفحات بيضاء)، وهو ما كرّره ميتران بدوره أمام شيراك<sup>35</sup> في مناظرة 1988.

29- "ne pas désespérer Billancourt" جملة منسوبة لجون بول سارتر (-1905 1980)، وهو يؤكد أنّه لم ينطق بها قطّ وإمّا قيلت الجملة في إحدى مسرحياته على لسان إحدى الشخصيات بالخطأ فاشتهرت وصارت أحد شعارات احتجاجات الطلاب الفرنسيين في ماي 1968.

30- قضية الألماس لبوكاسا (l'affaire des diamants de Bokassa): قضية مدوّية انفجرت في فرنسا سنة 1979 إبّان رئاسة فاليري جيسكار ديستان لفرنسا، وتتلخّص القضية في اتهام جيسكار، لما كان وزير مالية فرنسا سنة 1973، بتلقي 29 قيراطا من الألماس من قبل جون بيدال بوكاسا (1921-1996) إمبراطور جمهورية إفريقيا الوسطى دون أن يعلن جيسكار عن ذلك أو أن يسلم الألماس إلى الخزينة الفرنسية، وهو ما اعتبرته المعارضة ملفّ فساد واعتبرته الصحافة عمليّة مشبوهة.

31- قضية أولمبيك مرسيليا/ فالنسيان (l'affaire OM-Valenciennes): يوم 20 ماي 1993 ينتقل فريق أولمبيك مرسيليا ليلافي فالنسيان وينتصر عليه 0-1 في مباراة محتسبة للدوري الفرنسي لكرة القدم. وبعد يومين فجّر نادي فالنسيان فضيحة مدوّية حين أعلن عن تعرّض ثلاثة من لاعبيه إلى الإرشاء من قبل نادي أولمبيك مرسيليا. وقد تمّ الحكم بالسجن على رئيس نادي أولمبيك مرسيليا برنار تابي (Bernard Tapie) بتهمة رشوة اللاعبين ورشوة الشهود (مدرب فالنسيان) وعلى نائبه وعلى أشخاص آخرين من الفريقين. كما تمّت معاقبة فريق أولمبيك مرسيليا، الفائز بالدوري الفرنسي وبوري بطولة أوروبا لأوّل مرّة في تاريخ فرنسا، بالسقوط للعب في الدرجة الثانية الفرنسية لكرة القدم. (المترجم)

32- "bluff de coup"

33- فاليري جيسكار ديستان (Giscard d'Estaing) (1926-...): رئيس يميني لفرنسا من ماي 1974 إلى ماي 1981

34- فرانسوا ميتران (Mittérand) (1916-1996): الرئيس الحادي والعشرون لفرنسا، وهو مرشح اليسار وخلف جيسكار من 1981 إلى 1995

35- جاك شيراك (Chirac) (1932-...): خلف فرنسوا ميتران في رئاسة فرنسا من 1995 إلى 2007، حكم عليه سنة 2011 بالسجن سنتين مع تأجيل التنفيذ بسبب الفساد وتبديد المال العام.

- هناك استراتيجية أخرى هي استراتيجية المصلحة العليا<sup>36</sup> وهي تعني، إمّا الامتناع عن القول، وإمّا القول الخاطئ، وإمّا السماح بأن يذهب ذلك في الظنّ باسم "مصلحة الدولة". وخلافاً لرأي المواطنين أنفسهم أو حتّى لرغبتهم، فإنّ الكذب العمومي له ما يبرّره، إذن، لأنّه يتعلّق بإنقاذ مصلحة سيادية<sup>37</sup> أو ما يشكل أرضية هويّة للشعب بدونها سيتفكّك. وقد كان أفلاطون قد دافع عن هذه المصلحة «من أجل مصلحة الجمهوريّة»<sup>38</sup> والتجأ إليها كثير من السياسيين بطريقة ضمنية، لاسيّما أثناء الأزمات الاجتماعية الشديدة. ويتملّكنا شعور بأنّه لا يمكن لنا أن نتحدّث عن كذب في هذه الحالة ولا، أيضاً، عمّا نسمّيه «كذبا أبيض»، وإنّما نتحدّث عن أمنية بيضاء، لأنّنا نتعامل مع خطاب قد يخدع الآخر ولكن لمصلحته، والآخر هنا هو الشعب والخطاب لإنقاذه. وكثيراً ما نسكت عمّا نعرفه أو عمّا نفكر فيه باسم المصلحة العليا. وباسم المنفعة المشتركة يجب أن نعرف كيف نحفظ بسرّاً. وبهذا نفكّر العبارة الغامضة التي أطلقها دو غول للحشود في الجزائر العاصمة حين قال لهم: «لقد فهمتكم».

من كلّ هذه الاستراتيجيات، يبدو أنّ استراتيجية الإنكار فقط هي التي يجب أن تُدان بحقّ، لأنّها تمسّ رابط الثقة والعقد الاجتماعي الذي ينشأ بين المواطن وبين ممثّليه. بينما بقيّة الاستراتيجيات يمكن مناقشتها، والعديد من المفكرين السياسيين قد فعلوا ذلك<sup>39</sup> كميكافلي الذي يُعدّ الأميرُ عنده «متصنّعاً ومخادعاً كبيراً»<sup>40</sup> وتوكفيل الذي يرى أنّ جملة من المسائل يجب أن تُحجّب عن علم الشعب «الذي يحسّ أكثر ممّا يفكر»<sup>41</sup>. يمكن القول بشيء من التهكم أنّ رجل السياسة لا يجب أن يقول ما هو صحيح بل يتظاهر بذلك، فالخطاب السياسي يتوسّط بين الهيئة السياسيّة والهيئة المواطنيّة خالفاً بين الاثنين لعبة مرايا، وجّه ميران كلامه لشريك قائلاً: «عيني في عينه؛ أنا أنزع في صدقه».

### إكراهات الكلام السياسي:

إذا أردنا تحليل الخطاب السياسي، باعتباره إنتاجاً لغويّاً في إطار علاقات إقناع، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ثلاثة أنواع من الإكراهات المضمّنة في عقد التواصل السياسي؛ إكراهات البساطة وإكراهات المصادقية وإكراهات الدراماتيكية.

36- la raison suprême

37- souverain bien

38- أفلاطون، الجمهوريّة، قارنبيه- فلمازيون، باريس، 1966. (المؤلف)

39- أفلاطون، قرائيان (B. Gracian) (كاتب إسباني 1601-1658)، ميكافلي، أرندت، هابرماس... إلخ (المؤلف)

40- ميكافلي، الأمير، الترجمة الفرنسيّة، فلمازيون، باريس. (المؤلف)

41- ألكسيس دو توكفيل، حول الديمقراطية في أمريكا، فلمازيون، باريس، 1981. (المؤلف)

أما إكراهات البساطة، فلأنّ التوجّه إلى الجماهير هو التوجّه إلى مجموعة من الأفراد غير متجانسين ومتفاوتين من حيث مستواهم التعليمي ومن حيث إمكانيّات تحصيل المعلومة عندهم ومن حيث قدرتهم على التفكير ومن حيث تجربتهم مع الحياة الجماعيّة. وهذا معناه أنّنا، مع إكراهات التبسيط، نسلط الضوء على القيم التي يمكن أن تكون مشتركة وخاصّة مفهومة من قبل العدد الأكبر منهم. عدا ذلك فإنّنا سننقطع عن الجمهور. فعلى رجل السياسة، إذن، وهو يتساءل عن طريقة تقديم أفكاره، أن يبحث عمّا يمكن أن يكون القاسم المشترك الأكبر بين هذه الأفكار لدى المجموعة التي يوجّه إليها خطابه. يتوجّب عليه، إذن، التبسيط؛ تبسيط الأفكار وتبسيط تحليلها.

تبسيط الأفكار ليس سهلاً وله خطورته، لأنّ الأفكار تنتظم وفق أنظمة معرفيّة ومعتدّية متداخلة بما يجعل هذه الأفكار معقّدة أكثر. التبسيط هو، إذن، محاولة الحدّ من تعقّد الأفكار نحو أبسط تعبيراتها. وهنا، تظهر الخطورة والتي تتمثّل في أنّ التبسيط يمكن أن يقود إلى حقيقة زائفة كحديث جون ماري لوبان عن معاهدة ماستريخت، قائلاً: "معاهدة ماستريخت تمنح حقّ التصويت للأجانب، وبالتالي لجميع الذين يصلون عبر الحدود بطريقة شرعيّة أو غير شرعيّة"<sup>42</sup>.

بينما تبسيط التحليل يؤدّي بالمتكلّم السياسي إلى استبدال صرامة الفكرة بقوّتها. وعليه، فإنّ الأمر لا يتعلّق بالحقيقة بل بالصدق، بمعنى أنّنا لا نقول ما هو صحيح بل ما نعتقد أنّه صحيح وما يجب أن تصدّقوا أنّه صحيح. وهكذا، تينع أمامنا ثلاثة أنماط من التحليل السببي يمكن أن تكون مفهومة:

- النمط الأوّل يسمّى مبدئيّاً. فهو يطرح على مبدأ العمل الهدف منه، كهذا القول: «لأنّكم تريدون فرنسا قويّة سوف تصوّتون لمشروع ليبرالي»<sup>43</sup>. لم يُقل هنا يجب فرض عمل (تصويت) بهدف تحقيق شيء ما (فرنسا قويّة) وإنّما طرح، قبل كلّ شيء، مبدأ (فرنسا قويّة) الذي سيجرّ حتماً (ضرورة أخلاقيّة) عملاً معيّناً (التصويت). هذا النوع من التحليل يهدف إلى ضمّ الأفراد إلى مبدأ أو خيار أخلاقي ينبغي أن يشكّل أساس انخراطهم ضمن المشروع السياسي المطروح عليهم.

- النمط الثاني يسمّى براغماتيّاً؛ فهو يطرح فرضيّة ويقدم نتائجها أو الهدف المأمول من ورائها. إنّهُ انتقال من سبب إلى نتيجة ولكن مع تدرّج منطقي من سببيّة محتملة إلى سببيّة حتميّة ترمي إلى الحمل على

42. خطاب القسم في رمس (Reims) (وهي مدينة في شمال فرنسا)، 11 و12 و14 سبتمبر 1992. (المؤلف)

43. الصياغة هنا هي دائماً من نوع "لأنّه.. فإِنَّه..". (المؤلف)

الاعتقاد بأنه لا توجد نتيجة أخرى غير تلك المذكورة ولا هدف آخر نسعى وراءه غير ذلك المعلن، كالقول، مثلا: "إذا خففنا الضرائب فإننا نرفع في المقدرة الشرائية"<sup>44</sup>.

- النمط الثالث يسمى تناظريًا. ولعله الأكثر شيوعا في الخطاب السياسي، والذي يتأتى من المقارنات والتوازيات والقياسات. والقياس يكون من خلال أعمال وقعت فعلا (كما لو كان الأمر يتعلق بفقه قضاء) [خطابات من نوع]: "تذكروا إضرابات 195!" و"أمريكا لن تعرف فيتنام جديدة". نستحضر، وهنا، أعمال رجال عظام في التاريخ لنجعلهم يتكلمون عن أوضاع اليوم؛ نستحضر، مثلا، "دو غول يصوت للدستور الأوروبي" أو لنتخيل رفض الحاضرين ذلك قائلين: "دو غول عليه أن يعود إلى قبره". إن كل مقارنة فخ. إنها ذات طابع شخصي ولكن في الخطاب السياسي غالبا ما تكون ذات صبغة جوهرانية<sup>45</sup> يعني حاملة لتأثير مؤكد.

وأما الإكراهات التي تتعلق بالمصادقية، فهي تقود الذات السياسية لتصنع لنفسها صورة ذاتية تكون عبارة عن إيطوس التعريف لدى جمهور السامعين أو إيطوس الوضوح [كالقول]: «أنا أدرك أن...» أو إيطوس الالتزام بالإعراب عن إرادة الفعل [في مثل القول]: «لقد سمعتم وأتعهد بتغيير المعطيات السياسية» أو إيطوس السلطة [كالقول]: «بصفتي منتخبا ممثلا للشعب، أطالب بمساءلة رئيس الجمهورية»، هذا الإيطوس تم الرد عليه بإيطوس الفضيلة: «أنتم تعرفونني، كل الذين يعرفونني يعلمون أنني لم أبحث أبدا عن الإثراء الشخصي».

وأخيرا إكراهات الدراماتيكية، إذ هي التي تقود الذات السياسية إلى تنشيط ساحة الحياة السياسية بتوظيف كلمات وحجج تصيب الهدف مباشرة<sup>46</sup> أي تلامس عاطفة الجمهور. منها الحجج القائمة على التهديد المباشر نوعا ما [على غرار]: «إذا فوتنا فرصة أوروبا الموحدة فلا يعني ذلك فقط إضعافها أمام الولايات المتحدة الأمريكية بل إضعاف بلدنا أيضا»<sup>47</sup> أو الحجج المستعملة في بسط مأزق [مثل]: «دو غول أو الفوضى». ومنها أيضا الحجج المعتمدة عند تجريد الخصم من الأهلية [كالقول]: «الذين يوصونك بالامتناع عن التصويت أليس لهم أي رأي في أوروبا؟» أو وضع هذا الخصم في تناقض [مثل]: «لم تكن مطلقا مع أوروبا ماستريخت»<sup>48</sup> والآن تحتفل بمنافعها!.

44. الصياغة هنا هي دائما "إذا... إذن... أو هذا... في ضوء ذلك" (المؤلف)

45. Essentialisante

46. faire mouche

47. إشارة السبابة لها دلالة فائقة في سياق هذا الخطاب.

48. معاهدة ماستريخت: ماستريخت مدينة هولندية تم فيها التوقيع على المعاهدة المؤسسة للاتحاد الأوروبي يوم 7 فيفري 1992. ودخلت المعاهدة حيز التنفيذ في 1 نوفمبر 1993.

## خاتمة:

السياسي هو مجال تلعب فيه علاقات رمزية للقوة من أجل مغامرة السلطة وإدارتها. فإذا كان صحيحاً أنّ كلّ مراحل هذه اللعبة يجب ألاّ توضع على نفس المستوى إذا نظرنا إليها من زاوية نظر أخلاقية سياسية، فإنّه صحيح أيضاً أنّنا نجد أنفسنا عند التوليف بين ما تتكوّن منه القوتان اللتان تنشّطان الحياة السياسية ألا وهي المتمثلة في مثالية الغايات (السياسي) وفي تفعيل وسائل تحقيقها (السياسة).

ولكن لنكن واضحين؛ إنّ الخطاب السياسي يهدف أكثر فأكثر إلى التحفيز على التفكير والفعل أكثر ممّا يحفز على البرهنة. فلا بدّ أن يكون هناك قدر من البراءة لنصدّق أنّ خطاب الفاعل السياسي موجّه فقط لتحقيق مثالية اجتماعية، إذ الأمر يتعلّق بتقليل العمل على تشكيل حقيقة عقلية، بقطع النظر عن الآراء، مقابل العمل أكثر على تشكيل آراء تؤثر فيها المعتقدات، أو محاولة تقويتها. إنّ الخطاب السياسي هو خطاب ذو وجهة دائماً. وفي الوقت نفسه، إنّ متلقّي هذا الخطاب والمواطنين مشاركون فيه. ولهذا يمكن القول إنّ الشعوب جماهير ونخباً مسؤولة ومسؤولية مشتركة عن النظام السياسي الذي تعيش فيه. وعبر رأي عام متعارض مثل هذا وُجدت فرنسا فيشي<sup>49</sup> وفرنسا الاستعمارية<sup>50</sup> وفرنسا 21 أبريل<sup>51</sup> 2002.

إنّ عملية إخراج الخطاب السياسي تتأرجح بين العقل والعاطفة مازجة بين اللوغوس والإيطوس والباطوس<sup>52</sup> من أجل محاولة الإجابة عن السؤال الذي يفترض بنا جميعاً طرحه، ألا وهو: «ما الذي يجعلني أنضمّ إلى هذه القيمة أو تلك أو إلى هذا العمل السياسي أو ذاك أو إلى هذا الحزب أو ذاك أو إلى هذه الشخصية أو تلك؟» نحن في عمق «تذبيت»<sup>53</sup> السياسة، كما عبّر توكفيل وفوكو أو دولوز<sup>54</sup>. إنّّه تذبيت يمزج بشكل متشابك التصنّع بالعقلانية، التاريخ الشخصي بالتاريخ الجماعي، الفضاء العام بالفضاء الخاص، الدين بالسياسة، الجنس بالسلطة.

49- فيشي (Vichy): هي الحكومة التي حكمت فرنسا برئاسة الماريشال فيليب بيتان خلال الحرب العالمية الثانية من يوليو 1940 إلى سبتمبر 1944، وهي حكومة تابعة لدول المحور أثناء الاحتلال النازي لفرنسا. وتسمّت بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي عملت فيه الحكومة وهو فيشي في المنطقة الحرة التي أنشأتها القوات الألمانية في حوض نهر ألي في وسط فرنسا.

50- يقصد فرنسا الاستعمارية التي احتلت دولاً وشعوباً أخرى.

51- فرنسا 21 أبريل 2002: الدورة الثامنة للانتخابات الرئاسية الفرنسية خلال الجمهورية الخامسة، والتي بلغ خلالها المرشح اليميني جون ماري لوبان الدور الثاني مع جاك شيراك، وهو ما أفزع فرنسا ووحد القوى اليسارية والليبرالية لضمان فوز شيراك على لوبان. ابنة نفس المرشح اليميني ووريثته في رئاسة الجبهة الوطنية في فرنسا مارين لوبان أعادت نفس المسار وبلغت الدور الثاني في الانتخابات الرئاسية الفرنسية في ماي 2017 وخسرت أمام إيمانويل ماكرون.

52- انظر الإحالة رقم 18.

53- تذبيت أو شخصنة، مقترحنا لتعريب اللفظ: "subjectivation".

54- جيل دولوز (1925-1995): فيلسوف الاختلاف الفرنسي الشهير.

وهذا ما يفسد الخطاب السياسي الذي يجب أن يحافظ دائماً على التعايش بين «إغراء اجتماعي وجماعي»، بدونها لا يمكن أن يوجد سعي إلى مصلحة سيادية، وبين «براغماتية» ضرورية لإدارة السلطة بدونها لا يكون هناك تقدّم نحو هذه المثالية، إنه الكذب بصدق بعبارة أراغون<sup>55</sup> متحدّثاً عن الفعل الأدبي، إذ تتصادم هنا حقيقة المظاهر مقدّمة عبر الخطاب مع صدق الأعمال متجسّداً عبر القرارات. وفي الخطاب السياسي، يتأسّس الاثنان كلاهما في احتمالية بدونها لن يكون هناك عمل ممكن في الفضاء العام. وقد يكون هنا أحد أسس الخطاب السياسي.

---

55- أراغون (1897-1982): شاعر وروائي فرنسي شهير.

MominounWithoutBorders



Mominoun



@ Mominoun\_sm



مؤمنون بلا حدود  
Mominoun Without Borders  
للدراسات والأبحاث [www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)

الرباط - أكادال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : +212 537 77 99 54

الفاكس : +212 537 77 88 27

[info@mominoun.com](mailto:info@mominoun.com)

[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com)